

# الإبراهيمي

## كان أَمْة، كان جِيلًا،

## كان عَصْرًا ...

للمرحوم احمد توفيق المدنى

بسم الله والحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله .

سيادة الرئيس الكرييم . سادتي وزملائي الأعلام . سيداتي :  
قالوا : لكل قادم دهشة . ولو كان القادم قد اشتعل رأسه شيئاً .  
وبلغ من الكبر عتياً .

انتي في دهشتى هذه ، وأنا أقف عن غير استعداد ، بين سدنة بيت  
العروبة وأساطين العلم والفكر والأدب في عالم العرب ، لا أدرى كيف  
تكون براعة الاستهلال في هذا الخطاب . فهل أستهل الحديث بتقديم  
آيات الشكر والثناء ، لهذا المجمع الموقر ، الذي أولاني أعظم شرف يمكن  
أن يناله المناضل العربي ، وقد آذنت شمس حياته بالأقوال ، ألا وهو  
شرف الاتساب لهذا الحرم الأمين ، حارس العروبة ، ورائد بعثها ؟

أم بتقديم الشكر وصادق الدعاء ، لسيادة الرئيس العربي العملاق ،  
جمال عبد الناصر ، الذي تفضل ، أいでه الله بالنصر والتمكين ، فقبل اقتراح  
الزملاء الجلة ، وأصدر أمره المطاع بتعييني ضمن أعضاء هذا المجمع  
المهيب ؟

---

كلمة الاستاذ الكبير المرحوم احمد توفيق المدنى في حفل استقباله بجامعة اللغة العربية  
بالتاھرة ، خلفاً للشيخ الإبراهيمى .

أم بصوغ عبارات الامتنان والتقدير ، لهذا العالم القدير ، والأديب المفكر العميق ، سيدني وأستاذني عبد الحميد حسن الذي غمرني بسيل من فضله ، وأغدق على وابلا من الثناء والاطراء ما لست له بأهل ؟

ان دهشة القادم ، لهى العذر الذى أقدمه بين يدي تقصيرى .

ان أستاذى وأخي عبد الحميد حسن قد أسدل على جلباب الرضى ، ونظر الى وهو يقandomي الى مجمعكم المجل ، بالعين التي يراني بها أهل الفضل من الناس لكننى والحمد والمنة لله — بعيد جد البعد عن الادعاء وعن الغرور ، لا أرى نفسى الا كما هي ، على حقيقتها المجردة ، فأخرجل من هذا الاطراء ومن هذا التقييم ، وأشعر بحرج من ثقلت عليه الوطأة . لكننى أستعين بالله على تحمل أعبائها ، وأعلم أن الحياة كفاح من المهد الى اللحد .

فإذا ما كانت الأيام قد باعدت بيني وبين مهدي ، وقربت ما بيني وبين لحدي ، فلا تزال هناك في قراره هذه النفس ، باقيات صالحات من طاقة الشباب ، أضعها كاملة في خدمة العروبة ولسان القرآن ، وأرد بذلك عجز حياتي على صدرها ، وأختتم كفاحي بمثل ما بدأت به منذ نيف وخمسين سنة ، مناضلا في سبيل العربية ، مجاهدا دون حقها في الغلبة والانتصار .

فإذا ما كتم سادتي النجف قد استسمتم باتخابي ضمن زمرة تكمم الكريمة ذا ورم ، فأتم مقابلا ذلك قد تفختم في ضرم . وإذا ما أتيتكم بি�ضااعة مزجا ، فقد جئتكم عاقدا العزم على العمل الكثير ، والسعى الدائب لما يقربنا من هدفنا المنشود . وما حياة الفرد وما حياة الجماعة ، الا مزيج من العلم النافع ، ومن العمل الصالح ، ولربما كنت بينكم في المؤخرة من العلم ، انما أرجو الله أن يأخذ بيدي ، حتى أكون في الطليعة الرائدة من العمل . وعلى الله قصد السبيل .

انه لما يزيد من حرجي ، ومن ارتبا كي ، أنتي أستوي على مقعد قد ملاه قبلى عملاق من عمالقة العلم والأدب والتفكير ، والجهاد الحق فى

سبيل الاسلام والعروبة والوطن الكبير ، الا وهو العلامة العظيم ، فقيدنا العبرى الملم ، محمد البشير الابراهيمى ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل بين المجاهدين في علیين مثواه .

أي وربى ، انتي لأرتعد فرقاً وأنا أتبوأ كرسيه ، فكيف بي وأنا أحارب في ايجاز واقتضاب ، أن أرسم صورة له ، واضحة المعالم ، مدققة التقسيم ، يجب أن يستعيير القلم من أجل تخطيطها ، ريشة الرسام الملم ، وهل آتى الله رجلاً من فصاحة التعبير ، ودقة التصوير ، وملكة الفوضى في أعماق العبرية الإنسانية ، ما يستطيع به أن يسجل فوق القليل من الصفحات ، ما تنوء بحمله الكثرة من المجلدات ؟

لم يكن أستاذى ، وأخي ، ورفيق جهادى ، محمد البشير الابراهيمى ، مجرد رجل عظيم كغيره من عظماء الرجال . بل كان الابراهيمى أمّة ، كان جيلاً ، كان عصراً ، كان من أولئك الأفذاذ القلائل ، الذين أملوا أرادتهم على الحياة ، وأخضعوا الأيام لشئتم فكيفوها كما أرادوا ، وأخرجوا بلادهم من مصير شاءه لها الظالمون ، إلى مصير رسموه لها بأنفسهم ، فحددوا أهدافه ، واستبانوا مسالكه ، واقتحموا اقتحام الرواد الصادقين طريقه الوعر المنهاك للقوى ، غير عابئين بما كانوا يلقونه من عذاب وتنكيل واضطهاد ، ولا معيرين السمع لما كان يحاكي حولهم ، بوحي من الغاصب الدخيل ، من دس وبهتان ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين .

للجزائر أيها السادة تاريخ ، وللجزائر أيها السادة أمجاد ، وللجزائر أيها السادة أبطال ، ولقد صدق من قال :

وليس على الله بمستكشر أن يجمع العالم في واحد

فتاريخ الجزائر وأمجادها ، وجهادها ، وبطولاتها ، منذ الأزل ، قد اختمرت وتقاعلت في بطن الأقدار ، فإذا بها تخرج للشعب الجزائري ، في ساعة الصفر من تاريخه ، الحديث ، صنوين توأمين ، انطلقاً كمرسي رهان من دم عربي أصيل ، يتباريان في حلبة البعث والنشر ، ويتسابقان

فـ مـيـادـينـ الجـهـادـ والـكـرـامـةـ وـالـعـمـلـ الصـالـحـ ،ـ وـيـقـتـحـمـانـ أـسـوارـ أـحـكـمـ  
الـاسـتـعـمـارـ الـقـويـ العـنـيدـ وـضـعـهاـ حـوـلـ الشـعـبـ الـجـزـائـريـ ،ـ فـاـذـاـ بـهـماـ  
يـقـوـضـانـ مـنـ تـلـكـ الـأـسـوارـ مـاـ سـمـحـ لـطـلـائـعـ النـورـ وـالـأـمـلـ بـأـنـ تـحلـ محلـ  
الـأـيـاسـ وـالـظـلـمـاتـ ،ـ وـاـذـاـ بـهـماـ يـسـتـخـلـصـانـ حـيـاةـ الـجـزـائـرـ الـعـرـبـيـةـ الـمـسـلـمـةـ .ـ  
مـنـ بـيـنـ بـرـائـنـ الـبـغـيـ الـاسـتـعـمـارـيـ الـفـطـيـعـ ،ـ فـتـسـيـرـ سـيرـهاـ الـمـوـقـعـ بـيـنـ جـهـودـ  
رـجـالـ الـعـلـمـ وـالـدـيـنـ وـالـعـرـوـبـةـ مـنـ جـهـةـ ،ـ وـبـيـنـ جـهـودـ الـأـبـطـالـ الـمـيـامـينـ مـنـ  
رـجـالـ حـرـكـةـ الـاسـتـقـلـالـ الـوـطـنـيـ رـجـالـ الـتـضـحـيـةـ وـالـعـزـيمـةـ وـالـفـداءـ ،ـ مـنـ جـهـةـ  
أـخـرـىـ ،ـ إـلـىـ أـنـ حـقـقـتـ الـاـتـصـارـ ،ـ بـوـاسـطـةـ أـرـواـحـ وـدـمـاءـ مـلـيـونـ شـهـيدـ ،ـ  
مـنـ رـجـالـ الثـوـرـةـ الـأـبـرـارـ .ـ

الـرـجـلـانـ هـمـ عـبـدـ الـحـمـيدـ بـنـ بـادـيـسـ ،ـ وـمـحـمـدـ الـبـشـيرـ الـابـراـهـيـمـيـ .ـ

وـلـقـدـ أـسـعـدـنـيـ اللـهـ ،ـ فـعـرـفـتـ الرـجـلـينـ الـعـلـاقـينـ ،ـ فـيـ سـنـةـ الـعـشـرـينـ  
الـمـيـلـادـيـةـ ،ـ يـسـعـىـ نـورـهـماـ بـيـنـ أـيـديـهـماـ .ـ وـكـنـتـ يـوـمـئـذـ فـيـ عـنـفـوـانـ الشـبـابـ ،ـ  
أـقـتـحـمـ مـعـ اـخـوـانـيـ مـيـدانـ النـضـالـ التـحرـيـريـ ،ـ الـعـرـبـيـ الـاسـلـامـيـ ،ـ وـأـشـقـ  
فـيـ الـكـفـاحـ طـرـيـقاـ حـفـ بالـنـكـباتـ وـالـعـقـبـاتـ ،ـ إـلـىـ أـنـ بـلـغـتـ وـالـحمدـ اللـهـ  
غـايـتـهـ ،ـ وـرـفـعـتـ الـمـثـلـ الـأـعـلـىـ الـذـيـ جـاهـدـ فـيـ سـبـيلـ رـايـتـهـ ،ـ وـصـاحـبـتـ  
رـجـلـينـ ،ـ صـحـبـةـ الصـادـقـ الـأـمـيـنـ ،ـ وـسـرـنـاـ عـلـىـ الدـرـبـ الـذـيـ اـخـتـارـتـهـ لـنـاـ  
الـعـنـيـةـ الـالـهـيـةـ ،ـ وـكـلـ مـيـسـرـ لـاـ خـلـقـ لـهـ ،ـ فـمـاـ فـرـقـتـ بـيـنـاـ الـأـيـامـ ،ـ وـلـاـ اـخـتـلـفـتـ  
بـنـ السـبـيلـ ،ـ جـمـعـنـاـ الـمـبـدـأـ ،ـ وـوـحدـتـنـاـ الـغـاـيـةـ ،ـ وـقـادـنـاـ الـإـيمـانـ ،ـ فـلـمـ يـفـرـقـ  
بـيـنـاـ الـأـلـاـتـ .ـ

أـمـاـ الـأـوـلـ ،ـ فـمـاـ التـحـقـ بـرـبـهـ ،ـ حـتـىـ شـاهـدـ ذـيـوـعـ دـعـوـتـهـ ،ـ وـاـتـشـارـ  
مـبـادـئـهـ ،ـ وـرـأـيـ رـأـيـ الـعـيـنـ الـعـدـوـ الـفـاصـبـ طـرـيـعـ الـأـرـضـ مـهـشـمـاـ فـيـ  
الـأـوـحـالـ ،ـ وـأـمـاـ الـثـانـيـ ،ـ فـقـدـ رـجـعـتـ نـفـسـهـ الـمـطـمـئـنـةـ إـلـىـ رـبـهـ رـاضـيـةـ مـرـضـيـةـ،ـ  
بـعـدـ آنـ شـاهـدـتـ ثـمـرـةـ جـهـادـ الـأـجـيـالـ ،ـ وـرـأـتـ عـالـيـةـ رـفـيـعـةـ فـيـ سـمـاءـ الـمـجـدـ ،ـ  
رـايـةـ الـحـرـيـةـ وـالـاسـتـقـلـالـ .ـ

«ـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ رـجـالـ صـدـقـواـ مـاـ عـاهـدـواـ اللـهـ عـلـيـهـ ،ـ فـمـنـهـمـ مـنـ قـضـيـ  
نـحـيـهـ ،ـ وـمـنـهـمـ مـنـ يـتـظـرـ ،ـ وـمـاـ بـدـلـواـ تـبـدـيـلاـ»ـ صـدـقـ اللـهـ الـعـظـيمـ .ـ

لكي ندرك سادتي الأعلام ، عظمة كفاح البطلين ، في بلاد الجزائر المسللة العربية علينا أن نلم في لمحه خاطفة بحالة الجزائـر ، وهي تقاسـي في مستهل القرن العـشرين شـر ضـروب الاستـعمـار ، وقد استـحوـذ الـاحتـلال الأـجـنبـي فيـها علىـ التـفـيس ، وـقـهرـ التـفـوس ، وـخـنقـ الـأـنـفـاس . وـكانـ الشـعـبـ الـأـبـيـ قدـ دـفـنـ قـبـلـ ذـلـكـ تـحـثـ الثـرـىـ الطـاهـرـ ، أـكـثـرـ مـنـ نـصـفـ سـاـكـنـيـهـ ، فيـ جـهـادـ طـوـيلـ مـرـيرـ وـثـورـاتـ مـتـعـاقـبـةـ ، وـمـقاـومـةـ بـطـولـيـةـ ماـ رـأـيـ العالمـ لـهـ مـثـيـلاـ فـعـمقـهـ وـفـيـ اـتـسـاعـهـ . وـقدـ ضـاقـتـ بـالـمـسـتـعـمرـ السـبـلـ . وـعـلـمـ أـنـ لـاـ قـضـاءـ عـلـىـ هـذـاـ الشـعـبـ الـأـلـاـ بالـقـضـاءـ عـلـىـ دـعـامـتـيـهـ الـأـسـاسـيـتـيـنـ : الـعـرـبـةـ وـالـإـسـلـامـ ، فـأـمـعـنـ فـيـ مـحـارـبـتـهـماـ ، مـسـتـعـمـلـاـ كـلـ وـسـائـلـ الـبـطـشـ وـالـأـرـهـابـ ، وـالـنـفـاقـ وـالـتـلـبـيـسـ ، فـأـمـاـ الـدـيـنـ فـقـدـ أـصـبـحـ مـنـ جـرـاءـ ذـلـكـ أـشـبـهـ شـيـءـ بـجـسـدـ دـوـنـ رـوـحـ ، اللـهـمـ لـاـ بـقـيـاـ إـيمـانـ كـاـيـانـ الـعـجـائزـ ، رـاسـخـ فـقـلـوبـ الشـعـبـ لـاـ يـتـزـعـزـعـ . وـاتـخـذـ هـزـؤـاـ وـلـعـبـاـ بـيـنـ فـصـيـلـيـنـ ، لـمـ يـيـتـلـ شـعـبـ مـنـ شـعـوبـ الـإـسـلـامـ بـشـرـ مـنـهـماـ : فـصـيـلـةـ رـجـالـ الـدـيـنـ الرـسـمـيـيـنـ الـذـيـنـ كـانـوـاـ - لـاـ مـنـ رـحـمـ رـبـكـ - يـتـكـلـمـونـ بـاسـمـ الـحـكـومـةـ الـاسـتـعمـارـيـةـ ، لـاـ بـاسـمـ اللـهـ ، وـيـسـبـحـونـ بـحـمـدـ الـاسـتـعمـارـ بـكـرـةـ وـأـصـيـلـاـ . الـدـيـنـ عـنـهـمـ هـوـ الـأـمـرـ بـاطـاعـةـ أـوـلـيـ الـأـمـرـ ، وـالـزـهـدـ ، وـتـرـكـ الـدـنـيـاـ الـأـهـلـ الـدـنـيـاـ ، وـفـصـيـلـةـ وـرـثـةـ شـيـوخـ الـطـرـقـ الصـوـفـيـةـ الـذـيـنـ حـمـلـتـ أـكـثـرـتـهـمـ رـايـةـ الـخـرـافـاتـ الـتـيـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ بـهـاـ مـنـ سـلـطـانـ وـقـدـ أـطـعـمـهـمـ الـاسـتـعمـارـ مـنـ جـوـعـ ، وـآـمـنـهـمـ مـنـ خـوـفـ ، فـنـشـرـ مـعـظـمـهـمـ الـبـدـعـةـ وـالـضـلـالـةـ ، وـطـعـنـواـ الـإـسـلـامـ فـصـيـمـ تـعـالـيـمـهـ وـتـوـجـيهـاتـهـ الـصـالـحةـ ، وـاتـخـذـوـاـ مـنـهـ تـجـارـةـ خـالـوـهـاـ لـنـ تـبـورـ ، رـأـسـالـهـاـ الـقـبـورـ ، وـغـايـتـهـاـ تـرـكـ الـدـنـيـاـ وـعـدـمـ الـتـعـرـضـ لـلـاسـتـعمـارـ ، الـذـيـ هـوـ فـيـ نـظـرـهـمـ الـآـفـنـ مـشـيـئـةـ الـأـقـدارـ .

وـأـمـاـ لـغـةـ الـعـربـ ، فـقـدـ أـصـبـحـ لـسـانـاـ أـجـنبـياـ بـحـكـمـ الـقـانـونـ ، لـيـسـ لـهـ فـيـ مـدـارـسـ الـحـكـومـةـ أـدـنـيـ نـصـيبـ ، يـعـاقـبـ بـصـرـامـةـ مـعـلـمـهـ ، وـيـمـتـهـنـ وـيـبـذـ مـتـعـلـمـهـ . بـيـنـمـاـ أـقـبـلـتـ النـاشـئـةـ مـضـطـرـةـ عـلـىـ الـاغـتـرافـ مـنـ مـنـاهـلـ الـمـسـتـعـمرـ ، فـاـسـتـمـرـأـتـهـاـ ، وـاتـخـذـتـ مـنـهـاـ عـدـتهاـ لـلـحـيـةـ .

هـكـذاـ أـصـبـحـ سـادـتـيـ ، قـيـمـنـاـ الـعـرـبـةـ الـإـسـلـامـيـةـ ، كـأـطـلـالـ خـوـلـةـ ، تـلـوحـ كـبـاـقـيـ الـوـشـمـ فـيـ ظـاهـرـ الـيـدـ ، بـيـنـمـاـ كـانـتـ الـبـقـيـةـ الـصـالـحةـ مـنـ أـحـرـارـ

العرب والمسلمين القابضين على دينهم وكان بأكفهم الجسر ، يتداولون في الأمر ، ويبحثون عن المخرج من هذا البلاء العظيم الذي أصاب الشعب في دينه ، وأصابه في دنياه ، وأصابه في لسانه ، والذي حاول قطع الصلة بينه وبين ماضيه ، وطمس السبل بينه وبين مستقبله ، مما وجدوا لذلك من طريقة مثلثة ينتهيونها ، الا تكوين قاعدة شعبية ، فتية قوية ، تنشأ نشأة اسلامية عربية قومية ، تظهر دين الله مما ألقى به من أدران ، ليعود كما كان رائداً وقائداً ، وتبعث العربية من مرقدها ، وتنشر الوعي القومي عقيدة وإيماناً ٠

ها هنا دقت ساعة رجل القدر الأول ، فنفح ابن باديس في الصور . وتعالت من كل جانب لصيحته أصوات البعث والنشر ٠ فكانت الحملة الصادقة بالقلم واللسان ، على أقطاب الأفک والبهتان ، من مبتدعي الطرقية أعون الاستعمار ، فإذا بهم كالهشيم تذروه الريح ٠

وكان حركة بناء المدارس الحرة العربية القومية ، وخرجت لعالم الوجود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، رافعة راية الاسلام والعروبة والقومية الحقة ، ينفح فيها روح الحياة والعمل الهداف ، عبد الحميد والبشير وأنصارهما ، والحكومة الاستعمارية مشدوهة حيرى ، لا تدري كيف تدرا الخطر الذي يوشك أن يأتي على بنيانها من القواعد ، فما أغني عنها ولا وعد وعيد ، واتقدت جمرة الایمان التي كانت تخبو تحت الرماد ، فإذا بها نار الله الموقدة التي تطلع على الأفتشة ، ما فتئت تأكل أخضر الاستعمار ويابسه ، في زحف متواصل ، ثابت ، هادف لا يعرف الى النكوص على الأعقاب من سبيل ٠

كنا نستعد لليوم عظيم ، وال الحرب العالمية الثانية تهدد بالويلات والشروع ، عندما لبى ابن باديس داعي ربہ ، وتبأأرت روحه مقعدها في الخالدين . وإذا ما أنا أردت ، سيداتي سادي ، أن أصور ابن باديس كما عرفت في ميادين الكفاح والجlad ، وأثره العظيم المحسود في بعث الشعب الجزائري فاني أكتفي بتردید ما خطه يراعي ، في كلمة الاهداء التي قدمت بها اليه كتابي ( محمد عثمان باشا داي الجزائر ) : قلت :

( الى الرجل الذي أيقظ أمة ، وأنشأ جيلا ، وربط بين ماضي الوطن وحاضره ، وهياله في ميدان العلم والشرف مستقبلا ، فكان شخصه الكريم نقطة الاتصال بين الجزائر الغابرة الماجدة ، والجزائر الحاضرة المجاهدة ، والجزائر المقبلة الخالدة ، الى عبد الحميد بن باديس ، العالم العامل ، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، الشابت أصلها والتسامي لآفاق العلياء فرعها ، أتشرف بتقديم هذا الكتاب ، شاهد ولاء واكباد واعجاب ، وتقديرًا لأعماله وتضحياته النادرة المثال ، في سبيل الله ، وفي سبيل العلم والערבية وفي سبيل الوطن المفدي ) .

الناس يا سادتي يدفنون في التراب ، الا أننا وارينا ابن باديس القلوب التي في الصدور . وهنا ، بين أنين اللوعة ، وهديل الأسى ، دقت ساعة رجل القدر الثاني ، وشرأبت الأعناق ، من كل الآفاق ، نحو ذلك العملاق فتقدم الإبراهيمي الأمين ، يحمل الراية باليمين ، لا يأبه للمكائد ولا للسجون ولا يبالي بالمنافي . في الفيافي ، بل دخل المعمعة بقلب أسد . وبفكر أسد ، ووضع في ميزان القوي المتشاكسة يومئذ ، تلك الصفات التي أودعها الله فيه ، فكانت العناصر الأساسية التي استقامت منها هذه الشخصية الفذة الغربية : وضع علماً غزيراً فياضاً متعدد النواحي . عريق الجذور وأطلاعاً واسعاً عريضاً ، يخيل اليك أن معلومات الدنيا قد جمعت عنده بين قحفين ، وحافظة نادرة عز نظريرها ، ما قرأت شيئاً وما سمعت شيئاً إلا نقشتته أبداً فوق صفحة من صلب الحديد ، وذا كرامة طيبة . جعلت من صاحبها أشبه ما يكون بالعقل الكهرماني ( الا لكتروني ) ، يدر عليك أني شئت فيضاً من معلومات زاخرة ، كدائرة معارف جامعة سهلة التناول : من علوم الدين التي بلغ فيها مرتبة الاجتهد بحق ، الى علوم الدنيا مهما تباينت واختلفت ، الى شتى أنواع الأدبين القديم والحديث ، بين منظوم ومنثور ، الى تاريخ الرجال والأمم والدول ، الى أفكار الفلسفه والحكماء من كل عصر ومصر ، الى بدائع الملحق والطرائف والنكت . كل ذلك قد انسجم مع ذكاء وقاد ، ونظارات نافذة تخترق أعماق النفوس وأعمق الأشياء جعلته مصداقاً لقول أوس بن حجر :

**اللامعي الذي يظن بك الظن  
كان قد رأى وقد سمعا**

وفصاحة في اللسان ، وروعة في البيان ، والمام شامل بلغة العرب ، لا تخفي عليه منها خافية ، وملكة في التعبير مدهشة ، جعلته يستطيع معالجة أي موضوع ، ارتجاعاً وعلى البديهة ، أما ثرا يترواح من سجع الكهان إلى لسان طه حسين ، أو نظماً من نسج رجال المعلمات إلى رقة وسلامة شعراء العصر الحديث .

وأجمع إلى كل ذلك ، دراية كاملة بجميع ما في الوطن الجزائري ، يحدثك حديث العlim الخير عن أصول سكانه ، وقبائله ، وأنسابه ، ولهجاته ، وعاداته كل ناحية منه ، وأخلاقها وتقاليدها وأساطيرها الشعبية وأمثالها ، ومكانتها الاقتصادية وثروتها الطبيعية ، إلى غير ذلك مما هو من أسرار الخبراء أصحاب الاختصاص .

كل ذلك قد توج بآيمان صادق ، وعزيمة لا تلين ، وذهن جبار منظم يخطئ عن وعي وينفذ عن حكمة ، وقوة دائبة على العمل ، لا تعرف الكلل ولا الملل .

هذا هو البطل الذي التقينا حوله ، عند موت القائد البطل الأول ، وهتفنا مع السموأل :

إذا مات منا سيد قاوم سيد قرول لما قال الكرام «فرعون»

اندفعنا تحت قيادته الموفقة الملهمة ، نحو ضم معركة الحياة التي أعادت لشعبنا ، بعد كفاح طويل ، لسانه الفصيح ، ودينه الصحيح ، وقوميته الوعية الهدافـة .

كان الإبراهيمي خلال عشرة أعوام من رئاسته فعليـة لجمعية العلماء ، يقضـي سحابة يومـه في البناء والـتمـير ، ويقضي سوادـيلـه في التـدـير والتـفكـير ، ولم نـكـدـ نـعـرـفـ لهـ خـلـالـ هـذـهـ المـلـحـمـةـ مـقـرـاـ مـعـلـوـماـ ، الاـ السـيـارـةـ يـمـتـطـيـ مـتـنـهـ الـأـيـامـ وـالـلـيـالـيـ ، يـخـتـرـقـ بـهـ النـجـودـ وـالـوـهـادـ ، فـمـاـ مـنـ مـدـيـنـةـ وـمـاـ مـنـ قـرـيـةـ ، وـمـاـ مـنـ مـضـرـبـ مـضـارـبـ الـبـدـوـ ، الاـ غـشـيـهـ ، وـبـثـ فـيـهـ الرـوـحـ ، وـغـرـسـ فـيـهـ بـذـورـ الـنـهـضـةـ ، وـاجـتـثـ مـنـهـ الطـفـلـيـاتـ الـقـاتـلـةـ ، وـلاـ يـبـرـحـهـ الاـ عـنـ مـسـجـدـ مـؤـسـسـ ، اوـ مـدـرـسـةـ مـرـتـفـعـةـ اوـ نـادـ عـامـرـ .

وهكذا سيداتي وسادتي بدللت الأرض في الجزائر غير الأرض ، وتغيرت حياة وطبيعة واتجاه المجتمع الجزائري ، وقد ارتكز هذا العمل العقري على أربعة أساس :

أولها : تأسيس المدارس العربية الإسلامية الحرة ، يتولى أمرها جيل آخر جته مدرسة ابن باديس ، ولقد بلغ عدد هاتيك المدارس أربعينče ، رغم مقاومة الاستعمار العنيفة ، تسير كلها حسب منهج واحد محكم الوضع ، يعشها ما يزيد عن مائة وخمسين ألفا من صبيان وبنات ، تخرجت من بين صفوفهم أنفواج من الطلبة ، استكملوا دراستهم الثانوية في معهد ابن باديس ثم أرسلت بهم الجمعية إلى المعهد الزيتوني الطيب الذكر بتونس والى معاهد الشرق العربي ، وأسفرت هذه الجمود عن تكوين جيل كامل من شعراً بلغوا الذروة ، وكتاب مجيدين ، وخطباء مفوهين ، ودعاة مخلصين ، ولقد قام كل أولئك بواجبهم على الوجه الأكمل أثناء حربنا التحريرية الكبرى ، وإن منهم لفريقاً يتبوأ الآذن مراكز مرموقة في مختلف ميادين الحياة الجزائرية .

وثانيها : بناء وتعمير المساجد الحرة ، التي تباهي القوم عندنا برفع قواعدها في طراز معماري أندلسي أصيل ، وبذلوا في سبيل إقامتها ، كما بذلوا في سبيل بناء المدارس الحرة ما ملكته أيديهم من مال ، وما ملكته نساؤهم من حلي ، فكان الناس عندنا رجالاً ونساء يؤثرون الله والعروبة على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

وفي هاتيك المساجد التي أربا عددها عن المائة ، كان الشعب في كل الجهات يتلقى دروس الدين والحكمة الإسلامية ، ويستمع إلى الخطب التوجيهية الحية ، ويتلقي سيرة السلف الصالح ، والتوجيهات الحكيمية من أجل بناء مستقبل الجزائر الحرة العربية المسلمة ، وهجر أكثر الأحرار من المؤمنين مساجد الحكومة إلى أن طهرها الله بعد الاستقلال .

وثالثها : جولات دورية . دائمة دائبة . تقوم بها صفوة مختارة من العلماء ومن كبار الطلبة يغشون كل مجتمعات القطر الجزائري ، في كل جهاته المترامية الأطراف ، يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والوعظة الحسنة ، ويلقون الدروس والمواعظ والمحاضرات ، ويبشرون بمستقبل

الجزائر ضمن دائرة العروبة والاسلام ، فكان الشعب الجزائري كلّه يتلقى في نفس الوقت ، علما واحدا وتجيئها دينيا واحدا ، ودعوة للكفاح الصالح واحدة . الى جانب ما كان يتلقاه من رجال الحركة الاستقلالية منوعي سياسي ، وما كان يجده من تنظيم محكم .

ورابعها : صحافة حرة حية ، من طراز ممتاز ، على نمط جريدة البصائر تناضل في سبيل الاسلام والعروبة والقومية ، تنصر القضايا العادلة في مختلف جهات العالم ، وتنشر المباديء القومية ، وتثبت الافكار الجريئة الحرة ، فأضفت على الجزائر صورة وضاءة مشرقة ، بما كان فيها تحرير بلين ودراسات عميقة ، وشعر فحل ، يعد - ولا فخر - من أمجاد العروبة الحاضرة .

كل هذه الحركة العملاقة ، كانت تسيرها وسط الزوابع والأعاصير ، يد الربان الماهر القدير الابراهيمي ، فيوصلها الى ساحل السلام دون أن يمسسها سوء ، ونست وبلغت أوجها ، فكانت كزروع آخر شطأه ، فآخره فاستغاظ فاستوى على سوقة ، وما غادر الابراهيمي العظيم الديار ، الا بعد أن أصبح غرسه كشجرة مباركة ؛ أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها .

هذه هي، في أكثر ما يكون من الإيجاز والاختصار ، الصورة الحقيقية لذلك البطل القذر ، الذي اجتمع فيه خصال الأرثوذكسية والعبقريّة ، والذي ألف بين العلم والأدب والجهاد ، فكان أكبر عالم ، وكان خير أديب ، وكان من كبار المجاهدين .

هذا هو الرجل الفحل الذي خطّب موطنه أيام الثورة الكبرى بقوله :  
 اي وطني . ما ملكت فوق ثراك شبرا اتراني املك تحت ترابك قبرا ؟

### أيها الأمجاد

تقيم الشعوب الحية لفحولها وأبطالها ، معالم فاخرة ، تعني بها ذكرًا لهم ، وتسجل بهم اسمهم للأجيال الصاعدة ، أما نحن فلم نقم للابراهيمي ، ولا لابن باديس والذين سبقوه بحسان(باتشيونا) من الحجارة انما جعلناهم في

قلب كل جزائري ذكر ألم أنتي ، شعلة حية خالدة ، لن تخبو لها نار ، ولن ينطفيء لها نور ، تتوارثها جيلا بعد جيل ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ٠

### سيدي الرئيس ، زملائي الكرام :

إن الحديث مهما كان مقتضيا عن الإبراهيمي ، فإنه يترك في النفس أثرا عميقا ، من رفعة ومن سمو تلك الخصال النبيلة التي تغلغلت في صميم كيانه . وصارت سر وجوده ، بل كانت تمثل فيه بشرا سويا : ألا وهي الشعور المرهف بالمسؤولية ، والعمل الجاد الهاذف الدائب ، والنفع المتواصل الذي لا ينقطع ومقارعة الخطوب ، وتذليل العقبات والدفاع عن الحق . والصراحة التي بلغت أقصى درجاتها ٠

فللننظر واقعنا ، رئيسي وزملائي ؛ على ضوء ما تجلى لنا من دراسة صغيرة عن هذا الرجل العظيم . ولنستخلص من حياته العبرة ، ولننتفع بما فيها من ذكرى ٠

فما هو يا ترى موقفنا اليوم ؟ كمجمع للغة العربية ، مسؤول عن وجودها وعن تطورها ، وعن انتشارها ، من حياة المجتمع العربي الحاضر . وما نحن مطالبون به ، من نخبة العرب ومن جمahirهم ؟

أو بعبارة أخرى ، وبالصراحة الإبراهيمية المعروفة ، ما هو مدى شعورنا بالمسؤولية ، وإلى أي مدى نحن نقوم بواجباتنا ؟

إننا رئيسي وزملائي ، لسنا في مجرد سباق مع الزمن ، بل نحن في صراع حقيقي مع الزمن ، وما فاز في صراع ، إلا من استعد ، وأقدم ، وثبت ، وضحى ٠

إن ركب الحضارة يسير ، رغم الموعقين ، سيرا متواصلا دون انقطاع ؛ وإن قافلة العلم قد أتمت مسراها فوق ربوع الأرض ، وهي اليوم تحلق في السموات العلي ، وإن لغى العالم التنددين قد سارت بين يدي هذا الركب ، وسايرت هذا التحليق ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ، بل لا أغالي

اذا ما قلت ان هذه اللغة قد فتحت الابواب ومهدت السبل لهذا الزحف  
العظيم .

فأين عربيتنا العزيزة الغالية ، من هذه المسيرة العالمية الدافقة ؟ وما هي  
مكانتها ، كلغة علم ، ولغة عمران ، بين لغى العالم ذات الصولة والسيادة  
في وقتنا هذا ؟

ثم ، هل نحن وفقنا ، كمجمع مسئول عن حاضر وعن مستقبل لغتنا  
في محاولة اللحاق بالركب العالمي ، وفي تسكين العربية من ادراك شاؤ اللغات  
الجية من حيث التعبير الفصيح المدقق ، عن كليات وعن جزئيات  
ما اكتشف ، وما اخترع ، في شتى الميادين ؟

أم هل نحن سعينا السعي الجدي الصادق ، من أجل تيسير العربية  
للجماهير ؟

انني أكتفي بالقاء مجرد السؤال ، وعند جهينة الخبر اليقين .

ان الجهود التي بذلها هذا المجمع الكريم ، والنتائج التي حصل عليها ،  
لا يستطيع انكارها الا الجاحد الكنود ، لكنها جهود تتواصل رويدا ،  
وتسير سيرا وئيدا ، بينما الضغط يشتد حواليه بصفة ملحة ، وبينما العلم  
والحياة يسيران بسرعة صاروخية خاطفة .

سادتي :

في معرتك الحياة ، وفي ميدان الحضارة وال عمران ، لا مكان لجماد ،  
ولا مستقر لقاعد ، هكذا يقول منطق العلم . ان الحياة متواصلة بناءة  
مبعدة ، فمن لم يسابق فيها التأريخ ، ومن لم يسلك سبلهم ، كان غير  
مستحق للحياة ، وغير قادر على الحياة .

انني أشعر شعورا عميقا بأن مجمعنا هذا، في حاجة أكيدة ، لقبس من نار  
الثورة الدافعة ، ومن نور الثورة الذي يهدي السبيل ، فعسانا ، بجهودنا ؛  
وأخلاصنا وتضحياتنا ، وعزيزتنا ، أن تأتي من هذه النار بقبس ، أو أن  
نجد عندها هدى .

هنا أمسك عن القول ، وأهتف أن حي على العمل ٠ وأهيب بمجتمعنا الفاضل أن يسلك سبل الثورة في أعماله ، وأقواله ، ووسائله ، ومناهجه ،

اننا لا نكتفي بأن نساير النهضة العربية الناشئة ، والنهضة العالمية العارمة ، بل اننا نريد ، ونستطيع أن نحقق ما نريد ، دفع لعتنا الى مركز الطليعة ، وفيها استعداد لتبويء ذلك المقام ، وفيكم رئيسى وزملائى ، وأتم النخبة الصالحة من أبناء العربية ، القدرة القادرة على ذلك الدفع الثوري القوى ٠

فإذا عزمت ، فتوكل على الله ٠

وشكرًا جزيلاً !